وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة الأولى

المادة تأريخ الأدب العربي قبل الإسلام

عنوان المحاضرة/ ظاهرة النحل والانتحال والوضع

م. د. خلود يوسف عبود

ظاهرة النحل والانتحال والوضع

وهي من مخلفات الرواية الشفوية، وقد عرفتها كل آداب الأمم والشعوب، فلم يسلم منها أدب أمة من الأمم بما في ذلك الأدب العربي قديما وحديثا، وقد تنبه إلى ذلك الرواة والنقاد القدامى وقاموا بمحاولات جادة وطيبة لتنقية الأدب العربي مما علق به من الشوائب وتخليصه منها، فتصدوا لهؤلاء الرواة من أصحاب النفوس المريضة والضمائر الميتة، وسنقف على جهود بعض هؤلاء النقاد، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن الشعراء كانوا يعرفون هذه الظاهرة وقد نفوا عن أنفسهم هذه التهمة التي كانت توجه إلى بعضهم ، فهذا الأعشى يدافع عن نفسه بقوة إذ يقول:

فما أنا أم ما انتحالي القوا في بعد المشيب كفى ذاك عارا

وذلك أن اتهمه النعمان بن المنذر بانتحاله الشعر . وهذا طرفة بن العبد يدفع تهمة الانتحال عن نفسه إذ يقول :

ولا أغير على الأشعار أسرقها عنها غنيت وشرّ الناس من سرقا

ولم يسلم من هذه التهمة كبار شعراء الجاهلية ، فابن رشيق القيرواني يقول:((إن امرأ القيس كان يتوكأ على شعر أبي دواد الإيادي، والكلبيون يقولون: إن امرأ القيس انتحل الأبيات الأولى من معلقته من الشعراء الكلبيين)).

وكذلك تبادل التهم بالنحل والانتحال كبار شعراء الطبقة الاسلامية الأولى، فهذا جرير يتهم الفرزدق بالسرقة والانتحال في قوله:

ستعلم من يصير أبوه قينا ومن عرفت قصائده اجتلابا

الاجتلاب: مصطلح من مصطلحات السرقات الشعرية، وقد رد الفرزدق على جرير التهمة في قوله :

إن استراقك يا جرير قصائدي مثل إدعائك سوى أبيك تنقل

ولا بد لنا من توضيح هذه المصطلحات قبل كل شيء:

النحل : وهو أن تعزو قصيدة أو قطعة أو بيتا إلى شاعر وهي لغيره. كأن تكون للشاعر امرئ القيس وأنت تعزوها للنابغة الذبياني أو غيره من الشعراء. والنقاد قد يتساهلون في هذا الركن من المعضلة **للأسباب الآتية:**

١. ضعف ذاكرة الرواة بسبب تقادم الزمن .

٢. تشابه أسماء الشعراء .

٣. تشابه البحور الشعرية والقوافي والموضوعات .

ومن الأمثلة على الشعر المنحول ما روي عن النابغة الجعدي حينما دخل على الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ليستأذنه بالسفر فقال له الحسن: أنشدنا يا أبا ليلى من بعض شعرك، فأنشده قصيدته التي منها قوله:

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

فقال الحسن: يا أبا ليلى ما كنا نروي هذه الأبيات إلا لأمية بن أبي الصلت، فقال النابغة: يا ابن رسول الله والله أني أول من قالها.

ومن الأمثلة الأخرى قول الشاعر :

جزى الله خيرا من إمام وباركت يد الله من ذاك الأديم الممزق

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها بوائق في أكمامها لم تفتق

فسألت السيدة عائشة رضي الله عنها عن قائل هذه الأبيات ، فقيل لها مزرد بن ضرار، فقالت: فلقيت مزردا بعد ذلك فحلف بالله ما شهد تلك السنة والأبيات هي لجزء أخي مزرد.

الانتحال: وهو أن تعزو شعرا لنفسك وهو ليس لك، وهذا الركن من أركان المعضلة هو سرقة محضة ، لذلك نجد النقاد يتشددون في ذلك ولا يتهاونون فيه.

الوضع: وهو نظم شعر أو قصيدة في عصر لاحق وعزوها إلى عصر سابق، كأن تصنع في العصر الأموي أو العباسي وتنسب إلى العصر الجاهلي، والنقاد والعلماء يجمعون على أن هذا

الركن من المعضلة هو افتراء من الرواة على الشعراء، لأن الشعراء لم يقولوا هذا الشعر بل هو مقحم عليهم وهم منه براء، ومن أمثلة الشعر الموضوع ما صنعته قبيلة بكر بن وائل لتجعل شاعرها عمرو بن قميئة أول من قال الشعر، والقصة مروية في كتب الأدب لمن يريد الاستزادة والاطلاع عليها .

ولعل أشهر من تصدى لهذه المشكلة هو محمد بن سلّام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء، وعبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ) في كتابه السيرة النبوية الشريفة، فهذان المصدران القديمان من اشهر المصادر التي نجد فيهما مثالا واضحا لعملية التنقية التي اجراها العلماء للشعر المنحول أو المصنوع ، فقد رأينا كيف كان العلماء يتشددون في رواية الشعر، وكيف كان علماء الشعر يراقبون بدقة وحذر جميع أنواع الرواية ، فينبهون الناس على الشعر المزيف والمفتعل، وقد رأينا كيف كان الشعراء يردون هذه التهمة عنهم.

فابن سلام الجمحي، وعبد الملك بن هشام كلاهما قد تصدى لراوية سابق هو محمد بن اسحاق (ت ١٥٤ هـ) صاحب السيرة التي أخذ منها ابن هشام سيرته . فقد جعل ابن هشام وابن سلّام ينقدان ابن اسحاق على ما أورد من شعر منحول مصنوع في السيرة النبوية، فكان مما قاله ابن سلّام عنه:((وممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه محمد ابن اسحاق بن يسار، مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وكان من علماء الناس بالسير ... وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك ، فقبل الناس عنه الأشعار وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر، اوتى به فأحمله، ولم يكن ذلك له عذرا، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط وأشعار النساء فضلا عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب أشعارا كثيرة، وليس بشعر إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف، أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ ومن أداه منذ آلاف السنين؟ .

فابن سلّام رفض هذا الشعر ورده بقوة وفنده بحجج منطقية وعقلية وهي:

١. **دليل نقلي:** تمثل بالقرآن الكريم وما فيه من إشارات إلى انقطاع أثر هذه الأقوام ومن ذلك قوله تبارك وتعالى يقول: (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) سورة الأنعام: الآية ٤٥. أي لا بقية لهم، وقال أيضا: (وإنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى) سورة

النجم: الآيتان: ٥٠-٥١ . وقال: (وقرونا بين ذلك كثيرا) سورة الفرقان: الآية : ٣٨ . وقال في عاد: (فهل ترى لهم من باقية) سورة الحق : الآية : ٨. وقوله تعالى:(ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) سورة إبراهيم : الآية : ٩ .

٢. **دليل لغوي:** وهو أن عربية القبائل البائدة هي غير عربية القبائل القحطانية والعدنانية، وأن عربية عاد وثمود هي ليست عربية إسماعيل عليه السلام ، وقد أكد صحة هذا الرأي شيخ الرواة وأحد القرّاء السبعة ابو عمرو بن العلاء بقوله: ((ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا)). علما أن عمر اللغة الفصيحة التي احتضنت القرآن الكريم لا يتجاوز الأربعمائة سنة قبل الاسلام .

٣ . **دليل أدبي:** وهو أن عمر الشعر الناضج على رأي الجاحظ لا يتجاوز المئة والخمسين او المئتين سنة قبل الإسلام وأن القصيدة الناضجة حديثة الولادة .

وهكذا يستمر ابن سلّام في تعقب الشعر المفتعل فيصفيه تصفية تامة ، ومثله فعل أبو بحر الجاحظ في مواضع عدة من كتابه، إذ انكر على بعض من الشعر صحته فقال مثلا في شعر للنابغة الذبياني:

فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

فقال: إن هذا الكلام لا وجه له، وإنما ذلك كقولهم كان داود لا يخون، وكان موسى لا يخون، فجعله الجاحظ مصنوعا ، ولعله قصد أنه مصنوع في الاسلام ، لأنه يناسب الآية القرآنية الكريمة:(غذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ، إني لكم رسول أمين ...) سورة الشعراء : الآيات: ١٠٥ - ١٠٧. فكلمة (أمين) في الآية صارت (لا يخون) في الشعر المذكور، وإذا قلبنا صفحات رسالة الغفران لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) طالعتنا مواضع متعددة في هذه القضية ونضرب لذلك مثلا في موضع واحد منها هو مخاطبته لآدم أبي البشر يسأله عن شعر ينسب إليه قاله في قتل قابيل هابيل أخاه:

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

وأودى ربع أهليها فبانوا وغودر في الثرى الوجه المليح

فأبو العلاء المعري يرفض مثل هذا الشعر، المنسوب لآدم عليه السلام، وغيره من الرجال الذين سبقوا ممن يدعى أنهم قالوا شعرا قبل توحد لهجات العرب في لهجة واحدة هي لهجة قريش ((اللغة الفصحى)).